دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	تيسير اللغة العربية للأجانب
المصدر:	المجلة - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - مصر
المؤلف الرئيسي:	مكي، الطاهر أحمد
المجلد/العدد:	س 10, ع 114
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1966
الشهر:	يونيو
الصفحات:	78 - 85
رقم MD:	403154
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	ACI, AraBase
مواضيع:	النحو، اللغة العربية، الثقافة العربية، الأستعمار الأوربي، الثقافة الغربية، التنصير، تدريس اللغة العربية، الرعايا الأجانب
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/403154

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

تيسير اللغة العربية للأجانب

بقلم الدكتور
الطاهر أحمد مكى

مرّت العربية كلغة مطلوبة من غير بنيها بمراحل ثلاث ، تأثرت فى كل منها بالهدف من تعليمها وبالفلسفة التربوية السائدة فى عصرها .

ويمكن أن نرد أقدم محاولة للمرحلة الأولى الى مدرسة المترجمين فى طليطلة ، وقد أقامها الفونسو العالم Alfonso el Sabio (١٢٥٢ ـ ١٢٨٤) ، واحتضنها رايموندو المطران(١) ، وهدفها نقل التراث العربى من رياضيات وفلك وطب وكيمياء وطبيعة وفلسفة ومنطق وسياسة الى اللغة اللاتينية ويقوم على العمل فيها أناس من أجناس مختلفة ، ولغات متباينة ، عرب واسبان ويهود ، وطريقة الترجمة أن يملى المترجم النص العربى بالاسبانية الدارجة ، ثم يقوم آخر بنقله منها الى اللاتينية ، وعلى هذا النحو ترجم جانب من مؤلفات ابن سينا ، وبعض آثار الغزالى ، وكتب أخرى فى الفلسفة شهرت بها المدرسة ، فهرع الى طليطلة نفر من الأوربيين المتعطشين الى العلوم الاغريقية ، ولم تكن توجد الا فى العربية ، يطلبونها لأنفسهم ، ويدرسونها لحسابهم ، ولما كان حظهم من العربية متواضعا ، أو كانوا لا يعرفون منها شيئا ، فقد استعانوا بعامة سكان المدينة ، **يترجمون** لهم حرفا بحرف مادة الكتاب الراغبين فيه الى الاسبانية الدارجة، أو يعبرون لهم عن معناه فى لاتينيه ركيكة يقومون هم بصوغها فى طابعها اللاتينى النهائى . وترجمات هؤلاء الغرباء لا تكاد تفهم ، لركالة لغتها اللاتينية ، والبعد الواضح بين المعانى التى تصمنتها والمعانى الأصلية للنص العربى .

وما لبث أن انضم الى الاعجاب بالثقافه العربية دافع دينى ، وكان الدين فى العصور الوسطى يغطى الجانب الأعظم من اهتمامات الناس ، يهدف الى دراسة العربية لفهم الاسلام ، التماسا لحجج يقارع بها أهله ، ويجادل عن طريق فهمها علماءه ، او ينقض مبادئه ويحاول أن يوقف تيار مده ، وكانوا بين متعصب وقف بقصده عند هذا الحد فلم يتجاوزه ، مثل رايموندو مارتين السابق ، وبين من أدى به اتقانه العربية ، وتعايشه مع آدابها الى حب أهلها والحنو عليهم ، ويأتى رايموندو لل Raimundo Lull فى مقدمة هؤلاء ، فقد أقبل على الفكر الاسلامى بقلب مفتوح وعقل متحرر ، وترك ذلك أثرا واضحا فيما خلف من تراث دينى كاثوليكى ، كان معجبا بتقوى المسلمين ، مأخوذا بفضائلهم ، ودعا قومه الى أن يستهلوا كتبهم ورسائلهم باسم المسيح ، كما يستهلها المسلمون باسم الرسول ، والى فصل الرجال عن النساء فى الكنائس ، وازدرى الهيئات الرهبانية المنظمة ، والجماعات الدينية الرسمية ، وألف بعض كتبه بالعربية أولا ، ثم

---

(١) Raimundo Martin ، قس من طائفة الدومينكان ، عاش من ١٢٣٠ الى ١٢٨٦ ، واصبح مطرانا لطليطلة ، ورجل الدين الاول فى اسبانيا المسيحية ، عرف بتشجيعه لدراسة العربية وترجمة آثارها ، وكان هو نفسه يجيدها . والف فيها معجما لاتينيا عربيا ، وربما كان الاول فى نوعه ، وقد نشره المستشرق الايطالى سكياباريلى Schiaparelli عام ١٨٧٢ .

ترجمها بنفسه الى اللغة القطلونية ، وعندما اشرف على كلية « ميرمار » للرهبان ، جعل تعلم العربية فرضا على طلابها ·

ليس لدينا الآن معلومات كافية عن الطريقة التى كان يتعلم بها العربية الأجانب الوافدون الى أسبانيا ، أوالأسبان المنعزلون عن المسلمين هناك ، وان غلب على الظن أنها كانت تحمل طابع أواخر العصور الوسطى الاسلامية ، من استظهار القواعد ، والالمام بالمفردات ، كل على حدة ، والافادة من ذلك فى القراءة والترجمة ، أما الذين كانت تضطرهم ظروفهم الى التكلم مع المسلمين ، فكانوا يأخذون لغتهم من الحياة ، بالاندماج مع الناس ، والاحتكاك بالجماعات ، والدربة على القول ، ولدينا اشارات كافية على أن « لل » اشترى عبدا مثقفا فى احدى جولاته بالمشرق ، يعلمه العربية ويحادثه بها ·

المرحله الثانية ، صاحبت عصر التوسع الأوربى، سقطت الهند فى يد انجلترا ، واستولت هولندا على أندونيسيا ، وبلغ الصراع أشده بين تركيا وأوربا، وفى هذه المرحلة توارى الهدف من تعلم العربية كاداة لنقل الثقافة ، وحل مكانه غرض سياسى يرمى الى التعرف على روح المسلمين ، لتفتيت روح المقاومه فيهم ، والالمام بعاداتهم لحكمهم من أيسر السبل ، ونبش نقاط الضعف فى تاريخهم لاثارة الخلاف ، وترجمة الكتب التى يحتاجون اليها فى ادارة البلاد المفتوحة ، ككتب المواريث والمعاملات والأحوال الشخصية ، وكثير منها كانت تجرى ترجمته بأوامر صريحه من وزارات المستعمرات ، وترك هذا الاتجاه بصماته واضحة فيما كانت تعالج كل دولة من شئون المسلمين ·· عكفت فرنسا وايطاليا على دراسه المذهب المالكى لانتشاره فى شمال افريقية ، وانجلترا على دراسة المذهب الحنفى لأنه السائد فى الهند ، وهولندا على دراسة المذهب الشافعى لان جمهرة المسلمين فى أندونيسيا تسير على أحكامه ·

وبقى الهدف الدينى قائما الى جانب الاستعمار، واتخذ شكلا أوسع وأقوى مما كان عليه قبلا ، فمع الاستعمار اتسعت حركة التبشير ، وأصبحت أكثر شراسة وطمعا ، وكان الفارق بينهم ، أن السياسى كل غايته أن يستطيع قراءة العربية ، وان المثقف العامل له كل بغيته أن يستطيع الترجمة ، أما رجل الدين المبشر فكان عليه أن يتكلم ، وأن يجيد الكلام بلغة العامه ، لأن اللسان طريقه الوحيد الى التأثير، فعنى رجال الدين بالكلام ، وأقاموا لهم أديرة عدة ، فى جوانب مختلفه من العالم الاسلامى ، حيث تتكلم العربيه ، هناك يستطيعون أن يتعلموا العربية ، وأن يمرنوا جيدا على الحديث بها ، فى لهجاتها المختلفة ·

وفى هذه المرحلة حدث القليل من التطور فى طرق تدريس اللغة ، لكن اجادتها بلغت قدرا عاليا ، بفضل انتشار الطباعة ، ورخص الكتب ـ نسبيا ـ والانفاق على تدريسها بسخاء ، وأغداق المرتبات على عارفيها ، وتاليف المعاجم، والحاجة الى التدقيق فى ترجمه ما ينقل من العربية الى اللغات الأخرى ، لاقبال الناس الشديد على الطب العربى ·

ولم يكد الاستعمار يثبت أقدامه فى دنياه الجديدة حتى آثارت تقاليد هذا العالم وأهله وتاريخه وآدابه فضول جامعات أوربا وعلمائها ، فكان أن نشروا تراثه على هدى من مناهجهم الجديدة ، ودرسوا حضارته بروح محايدة فى أحايين كثيرة، ولكنه حياد لا يحول دون الخطأ لجهل غير مقصود فى القياس أو الاستنتاج ، وانضم اليهم طائفه أخرى من المستكشفين والمغامرين والرحالة ، أغرموا بهذا الشرق العجيب المثير الساحر ، وانعرب جل أهله ، وبلادهم أقرب مناطقه ، فتعلموا العربية لغة يتفاهمون بها مع سكانه ، فلم يكن عامة الناس فى هذه البلاد ، هاتيك الأيام ، يحسنون غير لغتهم الوطنية شيئا (٢) ·

الا أن الذين جددوا فى بلادهم كل شىء ، فاخترعوا المثير فى عوالم المادة ، وأبدعوا الرائع فى دنيا الفن ، وذللوا ما كان قبل عسيرا أو مستحيلا ، ونشروا المطوى من المخطوطات العربية ، وحققوا ما أصابه التشويه منها ، تركوا تدريس اللغة العربيه كما تلقوه ، لم يتقدموا به خطوة ولا أضافوا اليه جديدا · وعلى الجانب الآخر كان العالم العربى فقيرا متهالكا ، فى بدايه يقظته ، على عينه وقلبه وعقله بقايا وسن الرقدة الأخيرة !

فلما كانت الحرب العالمية الثانية ، ومعها دال سلطان الاستعمار السياسى عن العالم العربى ، الا قليلا ، واحتلت شعوبه من اهتمام الدول مكانا رحيبا ، للموقع الذى تحتله على ظهر البسيطة ، وللدور الذى تضطلع به فى مجال السياسة ، ولما تملك من ثروات مستغلة أو مخبأة لم تمسسها يد بعد ، ولتقدم وسائل المواصلات ، وزوال الحواجز المانعة والمعوقة ، وانتشار السياحة ، وتطورالحروب النفسية واتخاذها من الكلمة المكتوبة والمذاعة سلاحا

---

(٢) أصدق مثل لهذه المغامرة يتجلى فى Domingo Badia الاسبانى ، فقد درس العربية ، واجادها كاهلها ، واتخذ لنفسه اسم على بك العباسى ، وجال العالم الاسلامى كله ، انظر مقالنا عنه فى : المجلة ، ص ١٥ الى ٢١ ، العدد ٣٩ ، مارس ١٩٦٠ ·

تغزو به وتهاجم وتحطم ، كل ذلك جعل من العربية واحدة من اللغات التى يزداد عليها الاقبال كل يوم اتساعا • وأصبحت تطلب لأكثر من غاية : هدف سياسى لم يتغير منذ أن كانت السياسة ، وان أخذ دائما شكل العصر الذى يوجد فيه ، وهدف ثقافى هو فى خدمة السياسة كثيرا ويستقل عنها فى قليل من الأحيان • وهدف اقتصادى هو الجديد على عصرنا، يتمثل فى عدد من الشركات الأجنبية الكبيرة تعمل على امتداد أرضنا ، تدرس العربية لموظفيها ، وتدرس العرب لحسابها ، تدرس العربية جادة لأن ذلك يرتبط بالانتاج والارباح ، وتدرس العرب علميا فى حيدة لتستطيع فى ضوء ما ينتهى اليه الباحثون أن تتعامل معهم ، وأن تخطط لمعاركها بوعى • واختفى النشاط التبشيرى أو كاد ، لأن مجاله سد الى الأبد فى العالم العربى ، وفى غير العربى يجرى بلغات أهله ، ولفهم الاسلام ومواجهة مبادئه ، يعتمد الفاتيكان على الكاثوليك من العرب، والعربية لغتهم ، ومنهم فيها أدباء ومفكرون •

لكن الرجل العصرى ، وقد نال من تطويع السكون ما أراد ، ومن تذليل الطبيعة ما جعله سيدا ، يريد أن يصنع الشىء نفسه فى المجالات الثقافية ، لم يعد ذلك العاكف على كتابه فى مكان قصى من الحياة ، يمضى معه أياما وشهورا ، يستظهر كلمات وسطورا وصفحات ، وتمضى الدنيا حوله ، لا يحس انها اختلست منه أجمل أيام عمره ، وأزهى سنى شبابه ، انه يريد أن يبلغ من تعلم اللغة الشىء الكثير فى الزمن القليل بالجهد اليسير ، ما دام يملك أن يدفع ، وفى ضوء هذه الفلسفة بذلت محاولات كثيرة ، من جانب الهيئات الأجنبية ، على امتداد اللغات الحية كلها ، لتذليل صعاب اللغات أمام الراغبين فى تعلمها ، وفيما يختص باللغة العربية فان المؤسسات المالية الكبرى فى الولايات المتحدة ، مثل « أرامكو » و « مؤسسة فورد » تنفق بسخاء على دراسات متوالية تقوم بها الجامعات هناك ، والهيئات المتخصصة ، مثل : « مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد » و « لجنة الدراسات الخاصة بالشرقين الأوسط والأدنى » التابعة لمجلس أبحاث العلوم الاجتماعيه ، لتيسير سبل تعلم اللغة العربية ، وآخرها الحلقة الدراسية التى عقدت فى جامعة ميتشجان عام ١٩٦١ لدراسة القضايا المتعلقة بالمصطلحات النحوية العربية ، ويسهم اليونسكو عادة بامكانياته المادية والفنيه فى مثل هذه الدراسات ، ولو أن أحدا فى العالم العربى لم يفكر فى استغلالها بعد •

أما العالم العربى بجامعاته ومعاهده ، والجامعة العربية وهيئاتها الثقافية ، فلم تعط الأمر أية عناية ، ولم تقم بأية محاولة جادة لتيسير دراسة اللغه العربيه للاجانب ، على الرغم من أعداد الطلاب الوفيرة التى بدأت تتجه الى جامعات الجمهورية العربية ومعاهدها ، من أقطار مختلفة ، تتكلم لغات متباينة ، وعلى الرغم من معاهدنا الثقافية الكثيرة ، المنتشرة فى بلاد عديدة لا تتكلم اللغة العربية ، وتجعل من تدريس العربية بعض رسالتها ، وعلى الرغم من الشقاء المذل الذى يعانيه الطلاب الوافدون وهم يواجهون ، وربما لأول مرة ، لغة جديدة ، بلا كتاب معد ، ولا مدرس متخصص ، ولا معاجم ميسرة •

من الواضح أن لنا هدفا من تعليم العربية يلتقى مع أغراض الهيئات الأجنبية أحيانا ويخالفها أحيانا، نحن نود أن يدرك الناس حضارتنا وواقعنا ، وأن تكون صلتهم بثقافتنا مباشرة ، لا تعبر اليهم عن طريق لغة أجنبية أخرى ، والا يقف جهد الدارس لها عند ماضى العرب الثقافى ، وانما يتجاوزه الى حاضرهم الماثل أيضا ، وأن يدرسها على نحو يدرك معه روح الأمه العربية ادراكا يؤدى الى شعور بالمودة والقربى ـ كالذى كان من رايموندو لل ـ واذا كان الاقتصاد والسياسة يقفان وراء أغلب الجهود الأجنبية المعاصرة ، فعلينا أن نفيد من هذه الجهود وأن نحولها لصالحنا ، فاجادة الأجانب للغة العربية هى الطريق الوحيد ، وليس ثمة طريق آخر ، لعالمية الأدب العربى ، فقبل أن يصبح أدبما عالميا ، لا بد أن يكون هناك من يحسن قراءته وتذوقه وفهمه وترجمته ، من غير بنيه ، وأعنى هنا الترجمة التى تأتى عن اقتناع ، لا التراجم الشبيهة بالرسمية ، فانها قد تختار نصوصا ، ليست هى الأفضل دائما ، من شعر أو قصص أو أبحاث ، ثم يعهد بها الى مصريين ينقلونها الى الانجليزية أو الفرنسية • مثل هذه التراجم لا تقرأ ، وانما تأخذ مكانها بعد قليل أكواما من الورق فى المخازن ، لأن اجادة المصرى للغة الأجنبية لا تعنى أنه قادر على أن يكتب بها أدبا ، بل ليس كل انجليزى أو فرنسى بقادر على أن يكتب فى لغته أدبا ، ومن هنا فان العمل أن تنفق الأموال المرصودة لمثل هذه التراجم على كراسى تنشأ للغة العربية فى جامعات العالم الكبرى ، اذ لم تكن ، فان كان بها كراسى عاضدناها بالمال والكتاب والأستاذ ، ووطدنا صلة القائمين عليها بأدبنا ، وسهلنا لطلابها بالمنح المجىء الى بلادنا ، لتعميق دراستهم للغة ، وربطهم بالأدب ، وعندما يكون لنا فى كل لغة طليعة من الشبان المثقفين المجيدين للغة العربية ، يومئذ ، سيأخذ الأدب العربى بمختلف طعومه طريقه الى

العـــالمية ، دون قرار من مؤتمر أو توصـــية من لجان(٣) .

ادراك الصعوبات التى تواجـــه الأجنبى فى تعلمه اللغه العربية هى الخطوة الأولى فى تطـــوير طرائق تدريسها ، والواقع أن كثيرين منـــا بحكم التربية التى تعلموا على أساسها فى المـــدارس ، أو استجابه لرد فعل نفسى ضد القـــواعد ، يتصورون أن النحو هو أشق ما يواجه الطلاب الأجانب ، ومن تجربتى مدرسا للغة العربية فى كلية الآداب بجامعة مدريد لبعض الوقت ، ونعامين فى جامعة الجزويت بكولومبيا ، فان أسهل ما يواجه الطـــالب الأجنبى هو النحو ، اذا درس قواعـــــده مجردة ، ذلك أن أحكامه المنطقة تجعل من اليسير على أى عقـــــل استيعابها ، لكن مشكلة النحو تبدأ عندما يرتبـــط باللغة نفسها ، أو بعبارة أصـــح بالجانب التطبيقى منـــــه .

ولدينا الآن حصيلة وافرة من كتب النحـــو فى كل اللغات ، منها الموجز المركز ، والمطنب الشامل، من يجعل النحو غرضا لذاته ، ومن لا يعطى منـــه غير القليل ، وفى كل منها جانب من خير ، لو جمع فى كتاب واحد لأعطى خلاصة مفيدة ، نجهد عقـــول دراسة ، ومن هذا الخير حل مشكلة المجرد والمزيد، فقد اتفق على أن صيغ الأفعال ــ الثـــلاثى والمزيد منه ــ عشرة ، لكل صيغة رقم تعرف به ، دون حاجة الى ذكر ما لحق الكلمة من تغيير أو زيادة ، وكان أول من اهتدى الى هذه الطريقة وطبقها فيما أعرف المستشرق الاسبانى ميجيل آسين بلاثيوس(٤) استاذ اللغة العربية السابق فى جامعة مدريد ، ومهد لهـــا بمقدمة تجعل منها شيئا عاديا فى نظر الطـــالب الدارس لها ، يقول : كما يحدث فى الأفعال اللاتينية ــ أو الاسبانية ــ حيث تشتق من الصيغة الأصلية للفعل صيغا أخرى بزيادة تلحق الصـــيغة الأولى ، وتعطيها معنى مخالفا مثل Currere فهى أصـــل للافعال الاتية incurrere و concurrere و discurrere و transcurrere ... الخ ، كذلك ، يحدث فى العربية ، تلحق بعض الزوائد الصـــيغة الثلاثية فتعطيها معنى جديدا ، قد يختلف عن معنى الثلاثى الذى اشتقت منه وأورد الصيغ على النحـــو التالى :

الصيغة الأولى	فَعَلَ	فعل — بفتح العين أو ضمها
« الثانية	فَعَّلَ	فعل — بتشديد العين
« الثالثة	فَاعَلَ	فاعل
« الرابعة	أَفْعَلَ	أفعل بتسكين الفاء
« الخامسة	تَفَعَّلَ	تفعل بتشديد العين
« السادسة	تَفَاعَلَ	تفاعل
« السابعة	انْفَعَلَ	تفعل
« الثامنة	افْتَعَلَ	افتعل
« التاسعة	افْعَلَّ	افعل بتشديد اللام
« العاشرة	اسْتَفْعَلَ	استفعل

---

(٣) ان اثنين من الاسبان الشبان جاءا القاهرة على منحة ، هما الآن ألمع عالمين بالعربية فى دنيا الاستشراق ، أما أولهما Pedro Martinez المدرس فى كلية الاداب بجامعة مدريد ، فقد نشر ترجمة لمختارات من الشعر العربى مع مقدمة دراسية. ثم مجموعة من القصص لطائفة من الكتاب المصريين ، والثانى هو Fedrico Corriente de Cordoba ويعمل مدرسا فى كليـــة الاداب فى تطوان بالمغـــرب ، ويقوم الان بترجمـــة عودة الروح لتوفيق الحكيم ، وقنديل أم هاشم ليحيى حقى ، والحلقـــات السبع من الشعر الجـــاهلى ، وكلاهما شارك فى ترجمة مسرح الحكيم الى الاسبانية ، وأعمال أخرى لا تحضرنى الان .

Asin Palacios, Miguel: Crestomatia de arabe, p.31, Madrid 1959.

وسار على نهجه فى هذا العمل جلة من المستشرقين مثل : Tritton فى كتـــابه Teach Yourself Arabic والمستشرقة الايطالية Laura Veccia Vaglieri فى كتابها Grammatica elementare di Arabo وقد نشره معهد الدراسات الشرقية فى روما عام ١٩٥١

أصبح استخدام الأرقام لهذه الصيغ مقبولا من الطالب ، ويجرى عليه العمل كشيء مسلم به ومفهوم بداهة ، ويرمز بها فى المعاجم اختصارا ، بدلا من ايراد صيغة الفعل نفسها ، أو تكرارها كلما اختلف المعنى بحسب الزيادة التى لحقته • وقد يكون من المفيد لنا أن نضمنها كتبنا التى نعلم بها اللغة العربية للاجانب ولأبنائنا ، فان استخدام الأرقام للصيغ أوفر فى الوقت والجهد ، واستخدامها فى المعاجم العربية يختصر ثلث حجمها على الأقل • ومن هذه الصيغ على الترتيب السابق يجىء المضارع والأمر واسم الفاعل والمفعول والمصدر ، واذا استثنينا الصيغة الاولى فى اضطراب مصادرها ، فالبقية تجىء مصادرها على القياس دون خلل أو اضطراب • ولا يجد الأجنبى عسرا فى فهم أسماء الزمان والمكان والآله ، لأنها تجرى فى اشتقاقها على قانون لا يختلف ، وتجاوز عدد من الحالات الشاذة مندوحة حسنة ، لا يخسر معها الأجنبى مهما من اللغة ، ويربح كثيرا من التيسير والتسهيل •

لكن المشكلة العويصة التى يدور معها رأس الأجنبى ، ويجد نفسه ازاءها غريقا فى طوفان من الصيغ والأشكال والقواعد فتأتى من جموع التكسير، انها تجرى على غير قاعدة ثابتة ، وصيغه كثيرة العدد ، واستخدامه فى الشعر والنصوص كثير ، ويرد فى الأدب وفى الحياة اليومية بأكثر مما يرد أى جمع آخر ، ومن هنا يحسن أن نقوم بعملية استقراء للجموع الأوفر ورودا فى لغة الحياة اليوميه وأن نبوبها ، ونقيم لها الأسس التى تجرى عليها ، ونهمل ، فى المراحل الأولى على الأقل ، تدريس الصيغ الأخرى للاجنبى •

من العسير علينا أن نستعرض فى صفحات محددة النهج الذى نريده كاملا لتعليم النحو للاجانب ، فلا بأس أن نقف عند النقط الجوهرية ، وأن نترك التفصيلات لمكانها • والمنهاج كما أتصوره يجرى على مرحلتين ، الأولى للمبتدئين ، وتتطلب أن تأخذ الطالب برفق وعناية ، نمده بالأمل ، ونحثه على الجهد ، فاذا وجد نفسه خاتمة المطاف قد تعلم شيئا ، وأفاد جديدا ، شجعه ذلك على المزيد من القراءة ، والدأب على الدرس، والاستمرار فى نفس الطريق • وهى قبل ، حصيلة تجارب يمكن أن تعدل فى ضوء تجارب الآخرين اضافة وحذفا وتحويرا • وأول ما نبدأ هو كيفية نطق الاصوات ومخارج الحروف ، وتركيب الكلمات ، ثم أداة التعريف على أن نقرنها بما أهمله القدماء وهو أداة التنكير ، وقد تعورف على دراستها فى العربية تحت اسم « التنوين » ، وفى الدروس الأولى يتلقى الطالب اللغة تلقينا ، أمثلة مسلمة ، ينطقها ويفهم معناها ويحفظها ، تاركا التعليل والتفسير لمرحلة تالية •

ومن هذه الخطوة الى أقسام الكلمة ، الاسم والفعل والحرف ، نمهد بها مباشرة الى الجمله بقسميها ، الفعلية والاسمية ، على قاعدة البدء بالكل والانتقال منه الى الأجزاء والتفاصيل ، وفهم الجملة أسهل من فهم الكلمة ، والكلمة أسهل من الحرف• ومع الجملة الفعلية تبدأ دراسة الفعل الثلاثى الصحيح ، المفتوح العين أولا ، فالمكسور منه ، ثم المضموم ، وأعنى بدراسة الأفعال هنا استخدامها فى الجمل ، وهى تكون جل أفعال اللغة ، فاذا أمضى الطلاب أيامهم الأولى يدرسونه ، وينبهون الى شواذه، أمكنهم أن يواجهوا خطواتهم الأولى بحصيلة هائله من الأفعال ، ثم مجىء المضارع من هذه الأفعال مع المزاوجة بين شرح قاعدة التصريف وتلقين الضبط الداخلى للفعل ، واشتقاق اسم الفاعل والمفعول ، وقاعدتهما وهى لا تختلف ، وبالتدريب على اشتقاق هذين الاسمين يبدأ الطلاب المران على الجملة الاسمية ، ومع دراسة الجملة الفعلية يدرسون الأمر ، ونفى الماضى والمضارع ، والضمائر التى تلحق الفعل ، ومع الاسمية يدرسون جمع المذكر ، وجمع المؤنث ، والصور الجارية لجمع التكسير ، والضمائر المنفصلة وضمائر الملكية ، ثم المثنى أخيرا ، وعلى امتداد الفترة كلها يدرس الطلاب أسماء الاشارة ، للمفرد أولا ، ثم للجمع ، وللمثنى أخيرا ، وحروف الجر الشائعة الاستعمال، والأرقام والتذكير والتأنيث •

فى المرحلة الثانية ، يبدأ الطلاب ، وبالتدريج ، دراسة صيغ الثلاثى المزيد ، ماضيها ومضارعها . وما يشتق منها من أسماء الفاعل (ويتضمن صيغ المبالغة) وأسماء الزمان والمكان والآلة ، ومصادر الأفعال المزيدة وجلها قياسى ، أما مصادر الثلاثى نفسه فتلقن كأمثلة للطلاب طوال فترة الدراسة ، ثم تعطى لها بعض الضوابط فى آخر المرحلة • ويدرس الطلاب أيضا المبنى للمجهول ، والأفعال المعتلة ، وليس من الضرورى الضغط على كلمة علة هذه ، فيمكن أن يقال عنها أنها حروف ذات وضع خاص ، وجودها فى الكلمه يعطيها وضعا خاصا فى التصريف ، والتغييرات التى تطرأ على المضارع عندما يسبقه ناصب أو جازم ، ويقال عنها انها أداة وليس من الضرورى أن يعرف الطالب أهى حروف أم أسماء ، والشرط وجوابه ، والأسماء الموصولة والنسب ، والتغييرات التى تدخل على الجملة الاسمية عندما تسبقها ان وأشباهها ، دون تعرض للافعال الناسخة ، ويكتفى بدراسة هذه كأفعال عادية تماما •

أما التراكيب التى لا تعرض الا قليلا كصيغ التعجب والتصغير ، فيكتفى بالاشارة اليها فى آخر المرحلة ، على أن تدرس مع بعض القضايا النحوية الاخرى فى المراحل التاليه ٠

مع هذه القواعد فان الضبط الخارجى للكلمة ، وهو الذى يحدده الاعراب ، لن يكون عسيرا ، وتبقى مشكلة الضبط الداخلى ، وبخاصة عند التفرقة بين أنواع الفعل الثلاثى ، وعند صوغ المضارع منه ، وهو ما لا سبيل الى معرفته غير شكل الكلمات وقراءتها وتكرارها ٠

فاذا تركنا النحو فما يأتى بعده فى الأهمية هو اللغة نفسها ، أعنى مفرداتها ٠

والهدف منها أن نمكن الطالب من أن يتحدث بلغة عربية صحيحة غير متقعرة ، وأن يفهم الاذاعة. ويتذوق الأدب ، ويدرك مرمى القصة ، ويحسن استخدام المصادر القديمة اذا تقدم فى الدرس ، وآمعن فى التحصيل ، مستعينا بالمعاجم العربية الخاصة ، أو ذات الشروح الأجنبية ٠

ولتحقيق هذا الهدف يجمل بنا احصاء الكلمات الأكثر دورانا على الألسنة ، باستقرائها من الصحف والمجلات والاذاعة ، والنصوص الأدبية المعاصرة ، وكلمات الحياة العادية ، والأمر ليس بجديد ولا عسيرا ، فهناك بعض مؤلفات أجنبية كتبت فى هذا الأمر ، بعضها جمع مفردات من العالم العربى كله ، وبعضها قام على احصاء ما يدور فى حياة دولة واحدة ، وكلا الاتجاهين محاولة طيبة ، لكنها غير كاملة ، لنقص امكانيات القائمين بها ، على الصعيدين العلمى والمادى ٠

فى البدء علينا أن نعنى بتعليم الطالب اللغة المكتوبه ، لا اللغة الأدبية ، وهما معنيان يجتمعان أحيانا فى لغة واحدة ، ويختلفان أحيانا ، فاللغة المكتوبة هى لغة الحياة العادية ، غير العامية ، وتتميز اللغة الأدبية عنها فى غالب الأحيان ، لأن رجال الأدب فى كل الأقطار ، من شعراء وقصاص وكتاب ، يكونون طبقة لها تقاليدها وعوائدها ، وللغتهم خصائص متميزة ، تتطلب تهيئة وترويضا وتثقيفا عاليا ، وهى تغاير اللغة المكتوبة ، رغم تنوعها العديد فيما بينها ٠ وعلينا أن نعطى أهمية قصوى للكلمات ذا ت المعانى المحدودة ، الخاصة بالمفهومات المادية العملية ، ثم تأتى بعد ذلك الكلمات التى تدل على معان أكثر تجريدا ، على ألا نقدم للمبتدىء مفردات لا تجديه شيئا ، لأن الهدف فى المرحلة الاولى أن تكون لديه حصيلة من كلمات مفيدة ٠ والكلمات التى لا يتيسر وجودها فى نص أدبى ، ولا تستخدم فى الصحف أو الاذاعة ، وانما يقتصر مجالها على الحديث العام ، يمكن أن تضمن بطريقة طبيعية فى حوار أو نصوص للقراءة تدور حول بعض المشاكل المعاصرة ٠

هناك حاجات مشتركة بين جميع الناس ، ولهذه الحاجات مفردات تكاد تتساوى فى عدد الكلمات ، على امتداد العالم طوله وعرضه ، ومن دراسات قام بها قس فى احدى القرى الانجليزية تبين أن الكلمات التى يستخدمها فلاح أمى لا تتجاوز ٣٠٠ كلمة ، وهى الحد الأدنى لما يعرفه انسان فى مثل ظروفه ، ومن جانب آخر أجريت احصاءات لبعض الكتب الأدبية ، فوجد أن العهد القديم يضم ٥٦٤٢ كلمة ، وأن العهد الجديد يضم ٤٨٠٠ كلمة ، وأن مفردات أدب شكسبير تبلغ ١٥ ألف كلمة ، وألفاظ ملتن تبلغ ٧ آلاف كلمة ٠ ومن هنا يمكن أن نستنتج أن امداد الطالب بحصيلة من المفردات تبلغ ثلاثة آلاف كلمة فى مؤلفين ، الأول يضم ألف كلمة ، والثانى ألفين ، يقضى الطالب بعد دراستهما مرحلة تعمق واجادة ، يكفى لأن يبدأ مرحلة التخصص والعكوف على الأدب القديم لمن يريد ٠

لم تجر عملية احصاء هذه المفردات فى العالم العربى بعد ، ولم يقم أحد بدراسة معاجم أدبائنا ، كم يستخدمون من الألفاظ وماذا يؤثرون ، والى أن يتم ذلك ، يمكن أن نستعين بالاحصاءات التى قام بها الأجانب ، ويمكن أن نعهد الى القائمين بالعمل فى اذاعاتنا الموجهة اعداد جذاذات للكلمات التى تمر بهم يوميا فى تراجمهم للاخبار والأحداث ، يكتبونها بالعربية ، الى جانب اللغة الأجنبية التى أذيعت بها ، وترتب هذه الجذاذات وتدرس على نحو منهجى ، ويختار من بينها الألفاظ الأكثر دورانا ، وقد تصلح فى الوقت نفسه لعمل معاجم لبعض اللغات التى لا توجد فيها معاجم للعربية ، كالاسبانيه والبرتغالية (٥) ٠

يراعى فى القطع الموضوعة والمختارة أن تكون مفيدة للطالب ، تمده الى جانب اللغة بجديد فى معارفه عن حياة الشعوب التى يدرس لغتها ، وأن تتجه هذه المعرفة الى الحضارة ما أمكن ، وأن تبتعد عن المعالجة المباشرة لقضايا السياسة ، وأن تلتزم جانب الصدق دون مغالاة ٠ وكتب تعليم اللغة

---

(٥) فى صيف ١٩٦٤ زرت القسم العربى فى محطة الاذاعة الفرنسية ، فوجدتهم يصنعون شيئا كهذا باشراف المستشرق الفرنسى شارل بل ، الاستاذ فى جامعة باريس ، وفيما قيل لى ، فان لجنة مماثلة تقوم بنفس العمل فى محطة الاذاعة البريطانية ٠

العربيه التى يوزعها خصومنا فى الخارج لا تهاجمنا مباشرة ، ولا تتعرض للسياسة ، لكن الدارس يخرج بعد دراستها وفى ذهنه صورة كريهة للعالم العربى تحتاج الى جهد سنين لانتزاعها من أعماقه. انها تعطى القاعدة العلمية وهى محايدة ، ثم تنتقل الى القراءة وهى موحية ، فلا تكون نصا أدبيا جميلا ، ولا قطعة شعرية نابضة بالانسانية ، ولا حقيقة تاريخية ثابتة ، وانما تتحدث عن أمثال : « الاعرابى والنخلة » ، « بدوى يتيه فى الصحراء » ، « الراعى وغنمه » ، من كل ما يهدف الى تحقير المتكلمين بالعربية ، وابرازهم فى صورة المجردين من كل حضارة عصرية .

وتشكل الكلمات كاملة ، وبصفة خاصة فى المراحل الأولى ، لأن الشكل – فى نظر الأجنبى – جزء من بنية الكلمة ، اهماله يجعل الكلمة تفقد أحد عناصرها ، فيعجز الطالب عن فهم المراد من اللفظ، فلا يدرى فى مثل « جمع » أهى اسم أم فعل ، واذا كانت فعلا أهو للمعلوم أم للمجهول ، ثم نتخفف من الحركات شيئا فشيئا ، الى أن يتعود الطالب القراءة دون غير الضرورى من الشكل فى المرحلة الأخيرة ، وليكن ذلك من الكتاب الرابع مثلا ، ويمكن التخفف بدءا من بعض الحركات بما لا يتعارض مع الغاية منها ، فلا تكتب الفتحة مثلا وتكون مفهومة عند اهمالها ، الا اذا كانت حركة للواو أو الياء فى مثل (صور – جيل) ، وتعتبر حروف العلة مدا ما لم تضبط بالشكل ، أما الشدة والمدة وهمزة القطع فائباتها أمر جوهرى ، ولا ضير ، بل قد يكون ضروريا ، أن يكتب نطق الكلمة بحروف لاتينية فى المرحلة الأولى ، وأن يوضع للحركات قاعدة يتفق عليها ، وتصبح محتذاة عالميا ، وأن يتفق على رأى ، هل يكون النقل حرفيا ، فتكتب الكلمة دون اعتبار للنطق الحقيقى ، فيقال al-Dâr أم يكون النقل صوتيا وصفيا ، وحينئذ تنقل الكلمات كما ينطق بها ، فيقال ad-Dâr .

عند الكتابه للاجانب يحسن ، فى المراحل الأولى، التخلص من الزخارف الخطية التى يلجأ اليها البعض عند توالى حروف متشابهة ، لاعطاء الكلمة شكلا أكثر جمالا وانسجاما فى عين القارىء ، فيصعدون ببعض الحروف لغير ضرورة ، مما ترك أثرها فى حروف الطباعة ، فكلمة يتبينون مثلا يمكن أن تكتب على هذا النحو : يتبينون – يتبينون – يتبينون – يتبينون ، مما يوقع القارىء المبتدى فى اضطراب ، ويحسن أن تلتزم صورة الحرف العربى شكلا موحدا ، كانت فى وسط الكلمة ، كما سبق ، أو فى أولها ، على نحو ما تكتب عليه النون فى «نهر» و « نهر » أو آخرا كما تكتب الميم فى « قلم » و « قلم » .

وفى الكتاب الأول، وربما الثانى أيضا ، من المفيد أن يؤدى الرسم دوره الى جانب اللفظ فى توضيح المعنى ، وبخاصة فى الأسماء ، وان رسم قط الى جوار حروفه ، يجعلها أثبت فى الذهن ، وأدل على المعنى ، وأوفر فى الشرح .

من المؤسف أن تدريس اللغة العربية للاجانب يقوم على كتب مؤلفوها فى معظمهم من الأجانب ، وأغلبها عتيق النص والمنهج ، وهى ضارة ومؤذية وجارحة لكرامة الانسان العربى وشعوره ، تتحدث عن قضايا عفا عليها الزمن ، وتستخدم أسلوبا مسجوعا ركيكا ، انطوى عصره وذهبت أيامه ، واذن فلا بد لنا من كتب نصنعها نحن ، كتب للقواعد بتدريباتها ، وللقراءة المبسطة ، وللادب المعاصر ، وللادب العربى فى زاهر أيامه ، ولن يؤدى كتاب واحد من هذه الكتب الأدبية رسالته ما لم يضبط الضرورى من ألفاظه ، ويلحق بآخره معجم صغير Glossaire تترجم فيه الألفاظ الصعبة وغيرالمتداولة الى اللغة التى يعد لطلابها ، انجليزية أو فرنسية ، على قواعد الفصحى ونهجها .

وقد أثبتت التجارب أن الطلاب الأوربيين يقبلون على دراسة اللغة العربية بحماسة ثم ينصرفون عنها عندما يشعرون أن اللغة التى يبذلون الجهد فى دراستها ليست هى اللغة التى يتحدث بها الناس فى أى بلد عربى يمكن أن يذهبوا اليه مستقبلا ، ولسد هذه الثغرة ، علينا أن ننشر عددا من المسرحيات المعاصرة لكبار كتابنا ، على النحو المتقدم، ففيها لغة الحياة ، وفيها الحوار الذى تأنس اليه النفس وتألفه ، ويعين الأجنبى على أن يلتقط من كتاب أدبى الكثير من التعابير الدارجة ، الجارية على قواعد الفصحى ومنهجها .

وأعتقد أن على الجامعة العربية أن تعطى هذا الأمر بعض جهدها ، من اعداد اللجان ، وتأليف الكتب ، واقامه المعاهد ، وتنسيق الخطط بين دولها فى هذا المجال ، وحث المتخلف منها على أن يأخذ بحظه من هذه الرسالة الجادة ، وأن تعين دور النشر الكبرى التى تخصصت فى اصدار كتب اللغات ، بالخبراء والفنيين ، وأن تخطو الخطوة التى شملت لغات كثيرة وما زالت العربية محرومة منها ، وهى التعليم عن طريق الاسطوانة والاذاعة والأشرطة المسجلة ، وأن تحيط دوائر الاستشراق فى الخارج بما تنتهى اليه الدوائر العلمية فى العالم العربى من تطوير فى مناهج اللغة العربية ، يتصل

باللغة أو الكتابة أو النشر ، كاختصار أشكال الحروف العربية ، واصدار المجمع اللغوى فى القاهرة كتاب « المعجم الوسيط » ٠

وأن تفكر على المدى البعيد ، فتقوم بتوحيدكثير من المترادفات التى تستخدم للمعانى الجديدة ٠٠ فى كل دولة من دولها لفظ والمعنى واحد ، فيتحتم على الطالب الأجنبى أن يحفظ لمقابل الكلمة الأجنبية الواحدة عددا من الكلمات العربية ، فكلمة Vice Président يعبر عنها بكلمات : نائب ، ووكيل، وخليفة ، وكاهية ، ومساعد ٠

ذلك ، فى ظنى ، عمل أولى بالألوف من الجنيهات التى رصدت لترجمة أعمال شكسبير !

لكن هذه النيات الطيبة يمكن أن تنتهى كلها الى لا شىء اذا لم يسبقها الاهتمام بتكوين جيل من الأساتذة يتخصص فى تدريس اللغة العربية للاجانب، والتخلى عن فكرة أن كل من تكلم العربية قادر على تدريسها ، فمعرفة اللغة شىء ، وتدريسها للاخرين شىء آخر ، فاذا كان هؤلاء الآخرون أجانب يتكلمون لغة أخرى كانت الحاجة الى التخصص أشد ، والعناية بالاعداد أدعى ، وقيام مدرس تاريخ ـ مثلا ـ بتدريس اللغة العربية ، أو ارسال خريج فى مدرسة الألسن ليشغل كرسى اللغة العربية فى احدى الجامعات الاسبانية ، لمجرد أنه درس الاسبانية ، ضار باللغة وبنا وبسمعة الأدب العربى ، وبثقافتنا المعاصرة بوجه عام ٠ وترك تعليم اللغة العربية فى رعاية الأساتذة الأجانب ، يجعل منها أمام الطلاب شيئا أشبه بالطلاسم ، وبعينى شهدت راهبا يدرس الأدب العربى ، فى احدى جامعات أوربا ، ولايعرف من العربية غير قراءة الرسم ، واستخدام المعاجم ، لا يحسن نطق كلمة ، ولا يتذوق تعبيرا جميلا ٠

ولا بد من اعداد المدرس العربى فى اللغة التى يستخدمها الطلاب الذين يدرس لهم ، وأن يكون على قدر من ثقافة يدرك معه وجوه الخلاف بين اللغات الهندية الأوربية واللغات السامية ـ مثلا ـ ويعى المفهومات المختلفة للتحليل النحوى بين عائتين المجموعتين ، والمصطلحات النحوية المتعلقة بالألفاظ وتركيب الجمل على نحو أخص ، وما يوجد فى العربية وليس له مقابل فى هذه اللغات أو العكس ٠ وان أشق ما يواجه الأجنبى هو أن طريقة التفكير تختلف من لغة الى أخرى اختلافا بينا ، وأن تركيب اللغة فى العربية يختلف عنه فى اللغات الأوربية الحديثة ، وسوف يحس الطالب بسرور، وهو يواجه للمرة الأولى الأشكال الغريبة للرسم العربى ، اذا عرف أن خمسة حروف من الأبجدية العربيه لها شكل واحد ، وأنها تختلف فيما بينها بالنقط ، وهى ب ت ث ن ى ، وأن ثلاثة أخرى لها نفس الشكل ويفرق بينها بالنقط وهى ج ح خ ، وهكذا٠ وأن المثنى ، على دهشة الأجنبى منه ، ليس شيئا خاصا باللغة العربية ، فقد كان موجودا فى الهندية الأوربية قديما ، وما يزال موجودا بعد فى اللهجة السلوفينية فى يوغوسلافيا ، وفى صورابية اللوزاس (اقليم بين ألمانيا وتشيكوسلوفاكيا) ، والحق أن صورة المثنى بدأت تختفى فى لغة الحياة العادية من زمن طويل ، ولولا القرآن لاختفت من اللغة الأدبية أيضا ٠

وأن يعرف أن العربية تعبر عن الفكرة الرئيسية بالسواكن ، وعن تفرعاتها الثانوية بالحركات، ومن ثم فان التصريف يتم داخل الكلمة غالبا ، مما يسمح لها بصوغ عدد من المشتقات دون حاجة الى لواحق، فنحن نقول كتب ، كاتب ، كوتب ، كتاب ، كاتب، وهو ما لا يمكن بلوغه فى لغة أخرى دون التجاء الى اللواحق ٠ وأن الصعوبات التى تواجه الطالب الأجنبى تتمثل فى تعلم المائة الكلمة الأولى ، وفى الانتقال من قراءة النصوص المضبوطة بالشكل الى النصوص المجردة منه ، وفى تخطى قراءة الجمل المتفرقة الى قراءة نص كامل ، وأن تكرار المفردات والجمل البسيطة يعين الطالب على اجادة النطق ، وارهاف السمع ، مختارا من الألفاظ أكثرها دورانا على الألسنة وشيوعا فى الحياة ، متجنبا المفردات القليلة الفائدة ، أو النادرة الاستعمال ، فاذا استطاع طالب بعد قليل من الزمن أن يقرأ عنوانا فى صحيفة أو يلتقط جملة من اذاعة ، فسيكون ذلك دافعا له على الاستمرار فى الدرس ، والمضى فى الطريق الى نهايته ٠